الإحياء الشعري في المشرق العربي 2

أحمد شوقي

أديب وشاعر مصريّ، وأحد مُجدِّدي الشِّعر العربيّ الحديث، يُلقَّب بأمير الشُّعراء كما أنَّه رائد الشِّعر المسرحيّ العربيّ، وقد اشتُهِر أيضاً بشعره الوطنيّ، والدينيّ، وُلد في 26أكتوبر 1868م في القاهرة، من أبٍ كُرديّ، وأُمٍّ ذات أصول شركسيّة تركيّة، وكانت جدّته لأُمّه تعمل في قصر الخديوي إسماعيل وتكفّلت بتربيته؛ ولذلك نشأ أحمد شوقي معها في قصر الخديوي، وبعد أن أصبح في الرابعة من عُمره، التحق بالكُتّاب، فتعلَّم القراءة، والكتابة، وحفظ بعضاً من سُوَر القرآن الكريم.

والتحق أحمد شوقي بالمدرسة الابتدائيّة، ثم الثانويّة، وظهرت عليه أمارات النبوغ، ولذلك كان يحصل على إعفاءات من المصاريف المدرسيّة، وقد كان في هذه الفترة مُهتمّاً بقراءة دواوين شُعراء فحول العرب وحِفْظها، وأصبح يَنظم الشِّعر بشكلٍ جيّد، وحين كان عُمره خمسة عشر عاماً التحق بمدرسة الحقوق والترجمة، وانتسب إلى قِسم الترجمة، وبعد أن تخرَّج منها عيّنه الخديوي توفيق موظفا في القصر ثم اختاره في بعثة علمية إلى فرنسا عام 1887 على نفقة الخديوي، واستمرَّ هناك في دراسة الحقوق، وتمكَّن خلال ذلك من الاطِّلاع على الأدب الفرنسيّ والآداب العالمية.

أدبه وشِعره: كان شوقي الشخصيّةَ الأدبيّةَ الرائدةَ في مصر، فقد كان شاعراً غزير الإنتاج مُتنوعَهُ ما بين الشِّعر والقصص والمسرح، كما ظهر الازدواج في شِعره؛ بسبب ما مرَّ به من عوامل اجتماعيّة، وسياسيّة، فكان يَجمع بين شِعر الحياة العربيّة ذات الحضارة الإسلاميّة التي تتميَّز بأصالتها وإيمانها، وشِعر الحياة الغربيّة الحديثة التي تخضع لحُكم العِلم، وعلى الرغم من هذا كلِّه فقد كان شاعراً ذا لُغة عربيّة سليمة، وكان يميل إلى استخدام المفردات القديمة، وبعد عودته من فرنسا أصبح شاعر القصر، فكان مُقرَّباً أيضاً من الخديوي عبّاس، ووجّه شِعره إلى ذم الاحتلال الإنجليزي، مما تسبب له في النفي إلى إسبانيا عام 1914 وبقي هناك طيلة فترة الحرب العالمية الأولى، واستطاع خلالها الاطِّلاع

على نماذج من عيون الأدب العربيّ، وحضارة المسلمين في الأندلس، وفي المَنْفى نَظَم نونيّته التي عارض فيها ابن زيدون، ويقول فيها شوقي:

يا نائـح الـطـلـحِ أشبـاهٌ عـوادي ـنـا نَشْـجى لـواديـك أم نأسى لوادي ـنـا
ماذا تـقـصُّ علـيـنـا غـيـرَ أنّ يـداً قصـَّتَ جـناحك جالت في حواشينا
رمى بـنـا البـيـن أيكاً غير سامِرنا أخا الغـريـب وظـلاًّ غـيـرَ نادينـا
كلٌّ رمـتـهُ النَّوى ريشَ الفِـراقُ لنا سهـمـاً وسـلّ عليـك البـيـنُ سكـينا
إذا دعا الشوق لم نبـرح بمنـصـدع من الجـنـاحـيـن عـيٍّ لا يُـلـبّـيـنا
فإنَ يَكُ الجنسُ يا ابن الطَّلْحِ فـرّقنا إن المصـائـب يـجـمـعـنَ المُصابينا[1]

كما عارض البحتري في قصيدته السينية:

اِخـتِـلافُ الـنَـهارِ وَاللَيـلِ يُـنسي أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّـامَ أُنـسي
وَصِـفـا لي مُـلاوَةً مِـن شَـبـابٍ صُوِّرَت مِن تَـصَوُّراتٍ وَمَـسِّ
عصـفـتْ كالصَّبا اللعـوبِ ومرّت سِـنـةً حُـلـوةً، ولـذَّةُ خَلْس
وسـلا مصرَ: هل سلا القلـبُ عنها أَو أَسا جُرحَه الزمان المـؤسّي؟
كـلـمـا مـرّت اللـيـالي عليـه رقَّ ، والعهدُ في الليالي تـقـسِّي
مُستَطـارٌ إذا البـواخِـرُ رنَّـتْ أَولَ الليلِ، أَو عَوَتْ بعد جَرْس
راهبٌ في الضـلـوع للسفنِ فَطْن كـلـمـا ثـرْنَ شـاعَـهـن بنَقسْ
يا ابنـةَ اليمِّ: ما أبـوكِ بـخيـلٌ مـا لـه مـولـع بـمـنع وحبس
أَحـرامٌ عَـلـى بَـلابـلِـهِ الدَو حُ حَـلالٌ لِـلـطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ[2]

وحينما انتهت الحرب عاد شوقي إلى مصر، لكنه اتجه في موضوعاته إلى عامة الشعب يعبّر عن قضاياه ويدافع عن حقوقه ويتألم لمصائبه في مصر وغيرها، ومن ذلك قصيدته المشهورة (نكبة دمشق) التي يقول فيها:

[1] أحمد شوقي: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت10، 1984، ج 2، ص: 104.
[2] المصدر نفسه: ج2، ص: 45-46.

سَلامٌ مِن صَبا (بَرَدى) أَرَقُّ وَدَمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشقُ

وَمَعذِرَةُ اليَراعَةِ وَالقَوافي جَلالُ الرُزءِ عَن وَصفٍ يَدِقُّ

وَذِكرى عَن خَواطِرِها لِقَلبي إِلَيكِ تَلَفُّتٌ أَبَدًا وَخَفقُ

وَبي مِمّا رَمَتكِ بِهِ اللَيالي جِراحاتٌ لَها في القَلبِ عُمقُ

دَخَلتُكِ وَالأَصيلُ لَهُ اِئتِلاقٌ وَوَجهُكِ ضاحِكُ القَسَماتِ طَلقُ[3]

وتكمُن الأهمّية الأدبية لأحمد شوقي في قدومه بعد الشاعر محمود سامي البارودي، فكان(شوقي) جامعا بين التقليد والتجديد؛ أما التقليد فيظهر في أغراض المدح والوصف والرثاء التي أبدع فيه كثيرا من قصائده في حق الخديوي إسماعيل وتوفيق وعباس، كما يظهر في معارضاته الكثيرة ومنها معارضتا البحتري وابن زيدون السابقتان، ومعارضة الشيخ البوصيري في قصيدة البردة التي يقول فيها شوقي:

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ أَحَلّ سفْكَ دمي في الأَشهر الحُرُمِ

رمى القضاءُ بعيْني جُؤذَرا أَسدًا يا ساكنَ القاعِ، أَدرِكْ ساكن الأَجمِ

لما رَنا حدّثتني النفسُ قائلةً يا وَيْحَ جنبِكَ، بالسهم المُصيب رُمِي

جَحَدْتُهُ، وكتمْتُ السهمَ في كبدي جُرْحُ الأَحبة عندي غيرُ ذي أَلَمِ

رُزِقْتَ أَسمح ما في الناس من خُلق إذا رُزقتَ التماس العذْر في الشِّيَمِ

يا لائمي في هواه – والهوى قدَرٌ– لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تلُمِ[4]

وأما التجديد فجاء فيه مُعبّراً عن تجربة عصره، وتجربته الفنية الخاصّة في الشِّعر، فكتب الشعر القصصي التربوي الهادف إلى زرع قيم الأخلاق والخير في الناشئة عن

[3] المرجع السابق: ج2، ص: 74.
[4] المرجع نفسه: ج1، ص: 190.

طريق عدد من القصائد التي كتبها على هيئة قصص تجري على ألسنة الحيوانات على غرار أقاصيص (لافونتين) الشهيرة، مثل قصيدة الثعلب والديك التي يقول فيها:

برز الـثـعـلـب يـومـا في شعار الواعظين

فمشى ف الأرض يهذي ويسب الماكرينا[5]...

وكذلك تجديده في الشعر الوطني بمفهومه القطري الحديث، ومن أشهر ما قال في ذلك: وَطَـنـي لَـو شُـغِـلـتُ بِالخُـلدِ عَنهُ نازَعَـتـني إِلَيهِ في الخُـلدِ نَفسي[6]

كما جدد في إبداع عدد من المسرحيات الشعرية منذ سنة 1927 وهذه المسرحيات هي: الست هدى، قمبيز، محمد علي بك الكبير، مصرع كليوبترا، عنترة، ومسرحية (مجنون ليلى) التي يقول فيها:

أبو ليلى : ... مَنِ الهاتفُ الداعي؟ أقيسَ أرى؟ ماذا وقوفُك والفـتـيانُ قد ساروا؟

قيس : ما كنتُ يا عمُّ فيهم،

أبو ليلى : أين كنتَ إذن؟

قيس: في الدار حتى خَلَتْ من نارنا الدارُ

ماكان من حَطَبٍ جَزْلٍ بساحتها أودى الرياح به والضيف والجار

ومن مظاهر تجديده في الموضوعات وصفه لبعض المبتكرات الصناعية الحديثة كقوله في الغواصة إذ يقول:

ودبابـةٍ تـحـت الـعُـبـابِ بـمَـكْـمَنٍ أمينٍ ترى السَّاري وَلّيْسَ يَرَاهَا

هي الحوتُ أو في الحوت منها مَشَابِهٌ فلـو كـان فـولاذا لـكان أخاها

أَبَـثُّ لأصـحـابِ السـفـين غـوائلاً وألْأَمُ نَـابًـا حـين تَـفْـغَـرُ فَـاها

خَؤونٌ إذا غاصت غَدورٌ إذا طَفَتْ مُلَـعَّـنَـةٌ في سَـبْـحِـهـا وسُـرَاهَا

كما عالج موضوعات المرأة والعمل والتعليم، وهو القائل:

---

[5] المصدر السابق، ج 4، ص: 150.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص: 46.

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا[7]

وفاته ومُؤلَّفاته:

تُوفِّي أمير الشُّعراء، في الرابع عشر من أكتوبر عام 1932، وترك عددا من المؤلفات وهي:

ـ الشوقيّات: وهو ديوان شِعر من أربعة أجزاء.

ـ أسواق الذهب: وهو كتاب نَثر يتبعُ أسلوب المقامات الأدبيّة، وقد ألَّفه عام 1932.

ـ دُوَل العرب وعُظماء الإسلام: وهي مَلحمة شعريّة ألَّفها في الأندلس، تحتوي على 1726 بيتاً.

ـ رواية لادياس الفاتنة: حيث ألَّف هذه الرواية عام 1899.

ـ مجموعة من المسرحيات الشعرية. (كليوبترا- محمد علي بك – عنترة ـ مجنون ليلى)

انتهى

[7] المصدر نفسه: ج1، ص: 180.